الطرائق الحديثة

@التطبيقات البنيوية@

يعد مصطلح التمارين البنيوية مصطلحا حديث النشأة في ميدان تعليمية اللغات، حيث ظهر في أمريكا وأوروبا في الستينات كرد فعل على الطريقة التقليدية التي كانت تعتمد على الشرح المطول للقاعدة اللغوية وحفظها عن ظهر قلب، ويذهب " جيرار دوني G.Denis " إلى أن ظهور هذه التمارين لأول مرة في الولايات المتحدة الأمريكية (تحت اسم pattern practiceأو pattern drill ثم تحول هذا المصطلح بعد ذلك ليأخذ الاسم التالي structural drill، وذلك قصد تأكيد العلاقة القوية التي تجمع بين هذا النوع من التمارين اللغوية و اللسانيات البنيوية، وقد كانت هذه الأخيرة الإطار النظري لهذه التمارين وذلك بالتركيز على تقنيتي الاستبدال والتحويل المرتبطتين بالتحليل الشكلي للغة، لا سيما ما اعتمده " بلومفليد Blomflid "في نظريته التوزيعية.

والذي يبحث في هذا المجال أول ما يصادفه حول هذا النوع من التمارين كثرة واختلاف المسميات أو المصطلحات التي تطلق عليها في اللغة العربية، حيث أطلق عليها عبد الرحمان الحاج صالح " تمارين التصرف العفوي في بنى اللغة "، وعلي القاسمي "التمارين المختبرية "، و رشدي أحمد طعيمة " تدريبات الأنماط "، و إسحاق محمد الأمين "تدريبات الأنماط البنيوية"، وهناك من يرفض هذه التسميات جميعا ويفضل إطلاق المصطلح التالي : " التطبيق السمعي الشفوي للبنى " .

والحقيقة أن كل هذا هو مجرد اختلاف في التسمية ذلك أن كل باحث أو لساني يحاول أن يبرز خاصية معينة من خصائص هذه التمارين ، أما عن ماهية هذه التمارين فتعرف بأنها "التمارين التي تنطلق من مبدأ تمهير المتعلم على استعمال مكثف للغة، وتثبيت السلوكات اللغوية بخلق آليات للاستعمال المألوف"، فالتمارين البنيوية من خلال هذا التعريف هي تمارين غرضها الأساسي هو إكساب المتعلم مهارة ما عن طريق التدريب المكثف و المتواصل للبنية المدروسة وذلك قصد ترسيخها.

١. خصائصها

لها مجموعة من الخصائص في المؤلفات المختلفة نقتصر على ذكر:

التبسيط: بوصفها وسيلة لنقل وإيصال المعلومات إلى ذهن المتعلم بطريقة بسيطة دون الحاجة إلى حشو دماغه بالشرح النحوي الطويل.

التنوع: أي أنها تعتمد لغة التواصل المتداولة، وذلك بالتركيز على الجانب الكتابي والشفوي للغة، كما أنها تعد من أكثر التطبيقات اللغوية قابلية في التعامل مع الوسائط السمعية البصرية.

التدرج: وهو أن يصبح المتعلم عنصرا فعالا مشاركا في العملية التعليمية، من خلال تدريبه على البُنى وتكرارها حتى يكتشف بنفسه القياس، فتترسخ في ذهنه ليستعملها وقت الحاجة حسب مقتضيات أحوال الخطاب.

ملاحظة : أكمل باقي خصائص التطبيقات البيوية

٢. المقاييس المعتمدة في إعداد التطبيقات البنيوية

من أجل إعداد نوع أو أنواع من التطبيقات البنيوية وجب مراعاة مجموعة من المقاييس والخطوات من أجل أن تكون بصورة كاملة وتساعد المتعلم في الوصول إلى المعلومة وترسيخها، نذكر منها:

° اختيار البنية التي نريد تثبيتها، ويتم ذلك بالانطلاق من نص أو حوار، اطّلع عليه المتعلم في حصة الإدراك، واستخراج العنصر اللغوي المراد تدريسه.

° القيام بجرد للصعوبات والتدرج في إدخال هذه الصعوبات بصور متتالية.

° الانطلاق من نموذج أساسي وتلقينه للطالب عم طريق المنبه والاستجابة، مع مراعاة مبدأ بين الأصول والفروع.

° التدرج في التمارين المفتوحة انطلاقا من السهل إلى المعقد، التكرار ثم الاستبدال البسيط ثم المتعدد ثم التحويل البنوي.

٣. أهداف التطبيقات البنيوية

ككل الأنواع نجد للتطبيقات البنيوية أهدافا نذكرها وفق الترتيب التالي:

_ إكساب المتعلم القدرة على نطق مخارج الحروف نطقا صحيحا.

_ إكساب المتعلم ثروة معجمية كافية يستعملها للتواصل مع الآخرين.

_ إكساب المتعلم المهارة في استعمال التراكيب بطريقة عفوية دون التفكير في القواعد النحوية.

_ إكساب المتعلم القدرة على الربط بين الجمل من أجل إنشاء نص لغوي محكم التركيب.

٤. أنواع التطبيقات البنيوية

اختلفت الأشكال والمسميات بين مؤلف وآخر، وعليه اختلفت أعداد التطبيقات في المؤلفات الأجنبية من مؤلف لأخر بين اثني عشر وأحد عشر وسبعة، وأربعة فئات تضم كل فئة أنواعا معينة، أما عند العرب فقد قسمها رضا السويسي إلى خمسة أنواع، بينما علي القاسمي فقد أحصى عشرة أنواع للمبتدئين وستة أنواع للمتقدمين، ونعتمد في محاضرتنا هذه على تقسيم جونيفاف دولاتر Genevive Delattre والذي يعد الأسهل في اختيار الأنواع:

١. **التطبيق التكراري:** يعد من أبسط التمارين البنيوية ينقسم إلى :

١.١ **التكرار البسيط:** يتم هذا النوع من التمارين من خلال قراءة مجموعة من الجمل من قبل المعلم على التلاميذ، وما على التلميذ إلا الإنصات وإعادتها كما سمعها، ومن خلال الاعتماد على مفهومي الأصل والفرع نترك الفرصة للتلميذ ليكتشف بمفرده البنية اللغوية، من خلال إعادتها بصيغتين أخريتين فيكتشف بنفسه من خلال مقابلته بين الجملة الأولى الأولى (الأصل) والجملة الثانية (الفرع) لملاحظة التغيرات اللاحقة على الجملة الثانية، نمثل بدخول أحد النواسخ....

٢.١ التكرار التراجعي: في هذا النوع من التمارين تكون إعادة الجملة بطريقة مجزأة، تكون الجملة طويلة يستمع إليها المتعلم، ثم يعيد الجملة مجزأة إلى أن يعيدها كاملة، مثل: دخل الأستاذ القسم، وكتب الدرس، ثم قدم مجموعة من الاستنتاجات ، وختم الدرس بمجموعة من الأسئلة.

٣.١ التكرار بالزيادة: وفي هذا النوع يقوم المعلم بقراءة الجملة الأصل ثم يقرأ نفس الجملة مع إضافة العناصر اللغوية في كل مرة، مثل:

اشترت خديجة أربعة كتب

أكلت خديجة أربعة عشر كتابا.

٢. تطبيق الاستبدال: وهو تمرين يعتمد على استبدال لفظ بآخر مع المحافظة على نفس البنية التركيبية، وينقسم إلى:

١.٢ الاستبدال البسيط: كان عبد الرحمن الحاج قد أطلق عليه اسم الاستبدال الساذج، وهو الذي يخص الموضع الواحد من الصيغة، مثل:

سيرجع أحمد غدا من الرحلة

سيصل أحمد غدا من الرحلة

٢.٢ استبدال متعدد المواضع: هو تغيير للمادة في عدة مواضع وعلى التوالي مثل:

جاء عشرة طلاب (طالبة).

جاء عشر طالبات (وصل).

٣.٢ الاستبدال بالزيادة أو الحذف: في هذا النوع من التمارين لا تبقى المواضع كما هي حيث تضاف مواضع أخرى إذا كانت الجملة أصلية، وتحذف مواضع أخرى إذا كانت الجملة فرعية، ويمكن أن نمثل لذلك بالتالي:

مثال ١:- انتصر الثوار (اليوم).

- انتصر الثوار اليوم (في جنوب لبنان) .

- انتصر الثوار اليوم في جنوب لبنان .

٤.٢ الاستبدال بالربط : وهو نوع من الاستبدال فيه يجري التلميذ استبدالا في مواضع متعددة، فالعنصر المقترح استبداله يؤثر على باقي المواضع، ويمكن أن نمثل لذلك بالمثال التالي :

- التلميذ المجد نجح في الامتحان .

⇐ التلميذان .

- التلميذان المجدان نجحا في الامتحان .

⇐ التلاميذ .

- التلاميذ المجدون نجحوا في الامتحان .

٣. تمرين التحويل : تكسب التلميذ القدرة في التصرف في البنى، وتقوم هذه التمارين على التقابل بالاعتماد على نموذج كما في المثالين التاليين.

مثال ١: م : هذا رجل من مكة .

س : هذا مكي الأصل .

٤. تمرين التركيب : وفيه يتدرب التلميذ على الربط بين جملتين بسيطتين مستقلتين لتكوين جملة مركبة، ونمثلها بما يلي :

- وصل المتسابقان . المتسابقان نالا الجائزة .

⇐ وصل المتسابقان اللذان نالا الجائزة .

٥. تمرين الزيادة : ويقوم هذا النوع من التمارين على إضافة عنصر لغوي في كل مرة للجملة الأصلية للحصول على جملة فرعية طويلة، نمثل له بالتالي:

- نال التلاميذ الجوائز (الرابعة متوسط) .

- نال تلاميذ السنة الرابعة متوسط الجوائز (متوسطة بوالصوف) .

- نال تلاميذ السنة الرابعة متوسط بوالصوف . (إلا ثمانية تلاميذ)

٦. تمرين التكملة : وهو إكمال جملة أو حوار، مثال ذلك :

- يجب أن يعتمد التلميذ .....

- تعجب المفتش .....

- يزاول التلميذ دراسته .....

٧. تمارين الحوار الموجه: ويعد هذا النوع المحطة الأخيرة في سلسلة أنواع التمارين البنيوية، وهو النوع الوحيد الذي يتميز بالعفوية ومرد ذلك أنه يضع المتعلم في وضعيات شبه طبيعية، ويقوده إلى التعبير التلقائي شفهيا أو كتابيا، وله ثلاثة أشكال هي :

١.٧ تقليص النص: ويجري هذا التمرين على شكل حوارات مصغرة، يتم فيها التقابل بين جملتين الأولى استفهامية والثانية ، أو بين جملة مثبتة وأخرى منفية...وبالتالي يقوم التلميذ بتحويل المثبت إلى المنفي بطريقة عفوية، كما في المثال التالي :

المعلم : اسمك علي؟

التلميذ : ليس اسمي عليا، اسمي محمد .

المعلم : هل ذهبت البارحة إلى المسرح ؟

التلميذ : لا ، لم أذهب البارحة إلى المسرح ، بل مكثت بالبيت .

٢.٧ تمرين توجيه الطلبات: وفي هذا التمرين يطلب المعلم من التلميذ توجيه الطلب إلى زميله على النحو التالي :

المعلم : قل لمحمد أن يتصل بك هاتفيا هذا المساء .

التلميذ : محمد، اتصل بي هاتفيا هذا المساء.

المعلم : قل لحمزة وعلاء أن يساعداك في حمل الكتب .

التلميذ : حمزة وعلاء ، ساعداني في حمل الكتب.

٣.٧ السؤال والجواب: يدرب التلميذ على استعمال اللغة شفهيا وكتابيا ، ويقرب المتعلم من المواقف الطبيعية، وهو نوعان :

- **النوع الأول:** ينبغي أن يشمل على أسئلة وإجابات قصيرة على الشكل التالي :

المعلم: هل حاتم غائب اليوم ؟

التلميذ: نعم إنه غائب.

- **النوع الثاني :** ويسمى بالسؤال المفتوح، لأن المتعلم يختار إجابته بنفسه، ويطرح السؤال تدريجيا يمكن إنشاء الحوار على الشكل التالي :

المعلم : أمين ماذا تفعل ؟

أمين : أكتب رسالة.

المعلم : لمن ستكتبها ؟

أمين : سأكتبها لأختي المتواجدة في ألمانيا.

المعلم : هل أنهيت الرسالة ؟

التلميذ : لم أنهها بعد .

٥. الانتقادات الموجهة للتطبيقات البنيوية

رغم كل ما أحدثته التمارين البنيوية من تغيير في ميدان تعليمية اللغات، وما حققته من نتائج إيجابية وما لاقته من القبول و النجاح إلا أنها لم تسلم من الانتقادات والتحفظات في الوسط التربوي التعليمي ويمكن أن نذكر أبرز الانتقادات الموجهة للتمارين البنيوية في النقاط التالية:

–يرى بعض الدارسين أن التمارين البنيوية تنطلق من تراكيب معزولة عن أحوال الخطاب الطبيعي وبالتالي فالمتعلم في هذه الحالة يكتسب البنى اللغوية لكنه يعجز عن توظيفها واستعمالها بما يقتضيه حال الخطاب، ويرد أنصار التمارين البنيوية على هذا النقد على أنه صحيح في البداية " ركز أصحاب الطريقة السمعية الشفوية على ترسيخ التراكيب معزولة عن الخطاب، لكنهم تفطنوا بعد ذلك فسعوا إلى ربطها بالحوار أو النص، ومن ثمة أصبح من شروط التمارين البنيوية أن تنطلق من نص أو حوار سبق تقديمه في حصة العرض".

–الإسراف في التطبيق على الجانب الشفهي من اللغة و إهمالها للجانب الكتابي، ذلك أن أغلبها يطبق في مخبر اللغات، وهو ما جعل خصومها يوجهون هذا الانتقاد، أما رد أنصارها فكان <<أن التمارين البنيوية اعتمدت فعلا على الجانب المنطوق من اللغة ، لأن الاتجاه الحديث هو اتجاه شفهي ، ولكن بإمكان أي معلم تحويل هذه التمارين إلى تمارين كتابية ، ثم إن اللغة في المقام الأول ظاهرة صوتية منطوقة مسموعة قبل أن تكون مكتوبة.

–اعتبار التمارين البنيوية تمارين آلية ببغاوية لا تدرب التلميذ على الخلق والإبداع خاصة تمرين التكرار، وربما يقصد خصوم التمارين البنيوية. من خلال صفة الآلية . تمارين التكرار ، لأن متعلم اللغة في رأيهم يكرر البنية اللغوية المدروسة بطريقة آلية دون فهمها واستيعابها، إلا أن هذا النوع بالرغم من اتسامه بالبساطة إلا أنه يترك الفرصة للمتعلم من خلال قيامه بتكرار البنية اكتشاف العناصر اللغوية ، كما أدخل في عنصر الإبداع بإلزام التلميذ على إبداع جملة بعد تعرفه على الجملة الخفية يقول جيرار دوني:" وقد كان الاهتمام منصبا في البداية على التحفيظ عن ظهر قلب عن طريق التقليد الأعمى للنموذج الصوتي للجمل ذات البنيات المختلفة...وسرعان ما تم تصحيح الخاصية المملة للترديد البسيط بإدخال عنصر الإبداع من طرف التلميذ الذي أصبح ملزما بتجاوز الاقتصار على تقليد حرفي إلى إبداع جملة بعد أن يتعرف على الجملة الخفية". ويؤكد الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح على أهمية التمارين البنيوية في اكتساب القدرة على التصرف في البنى اللغوية من خلال قوله التالي: " فالتمارين البنيوية التي تعتمد على استبدال شيء بشيء أو تحويل بأي طريقة كانت، وهو جد مفيد في اكتساب يتطلب التأمل العقلي والتصرف المحكم في البنى اللغوية ".

–أنها تتميز بالبطء وعدم التنوع، وما يمكن أن يقال حول هذا الانتقاد أن التمارين البنيوية تنطلق من مبدأ التدرج؛ بالانتقال من السهل إلى الصعب حتى يتمكن التلميذ من استيعاب البنية وترسيخها في ذهنه ليتهيأ بعد ذلك لقبول بقية العناصر اللغوية ، فإذا احتوى التمرين أكثر من صعوبة، أو بدأ المعلم بتقديم البنى اللغوية دون مراعاة مبدأ التدرج فإن المتعلم يشعر بالإرهاق و الملل يقول الحاج صالح: "ولهذا التقسيم للصعوبة أهمية كبيرة...لأنه به يسلم التلميذ من الحصر والعي" .

وفي الأخير فإنه مهما اختلفت الآراء حول التمارين البنيوية فإنها تبقى وسيلة ناجعة في عملية تعلم اللغة، إذا عرفنا كيف نوظفها بكيفية مناسبة ، فتصبح أداة ترسيخية لا يمكن الاستغناء عنها. وبالتالي فالتمارين البنيوية تلعب دورا هاما في عملية الاكتساب اللغوي، فهي تكسب المتعلم الملكة اللغوية النحوية، إلا أنها لا تكسب المتعلم القدرة على التصرف في بنى اللغة حسب مقتضى الحال، فهي لا تنمي القدرة على إنتاج النصوص.